جيل الخلافة
سلسلة أجنحة غزة الصامدة
6
أم أبيها
أريج ماجد
مكتبة الطفل

سلسلة أجنحة غزة الصامدة

6

أم أبيها

أريج ماجد

مكتبة الطفل

جيل الخلافة

فِي بَاحَةِ الْمَدْرَسَةِ الَّتِي نَزَحُوا إِلَيْهَا، كَانَ الْوَدَاعُ الْأَخِيرُ...
وَقَفَتْ غِنَى تَنْظُرُ إِلَى جُثْمَانِ أَبِيهَا الْمُسَجَّى أَمَامَهَا، وَصَوْتُهَا الْمَبْحُوحُ يَرْتَجِفُ:
ـ "لَيْشْ رُحْتَ؟ لَيْشْ؟... لَيْشْ رَاحْ، وَاللَّهِ بِحِبُّهْ!"

اِحْتَضَنَهَا عَمُّهَا بِقَلْبٍ مَكْسُورٍ، وَبَكَى لِبُكَائِهَا، ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَمْسَحُ دُمُوعَهَا الصَّغِيرَةَ:
ـ "لَا تَقُولِي ذَلِكَ يَا غِنَى، هَذِهِ إِرَادَةُ اللَّهِ، اِرْضَيْ بِقَضَائِهِ، وَلَا تَعْتَرِضِي، قُولِي: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ."

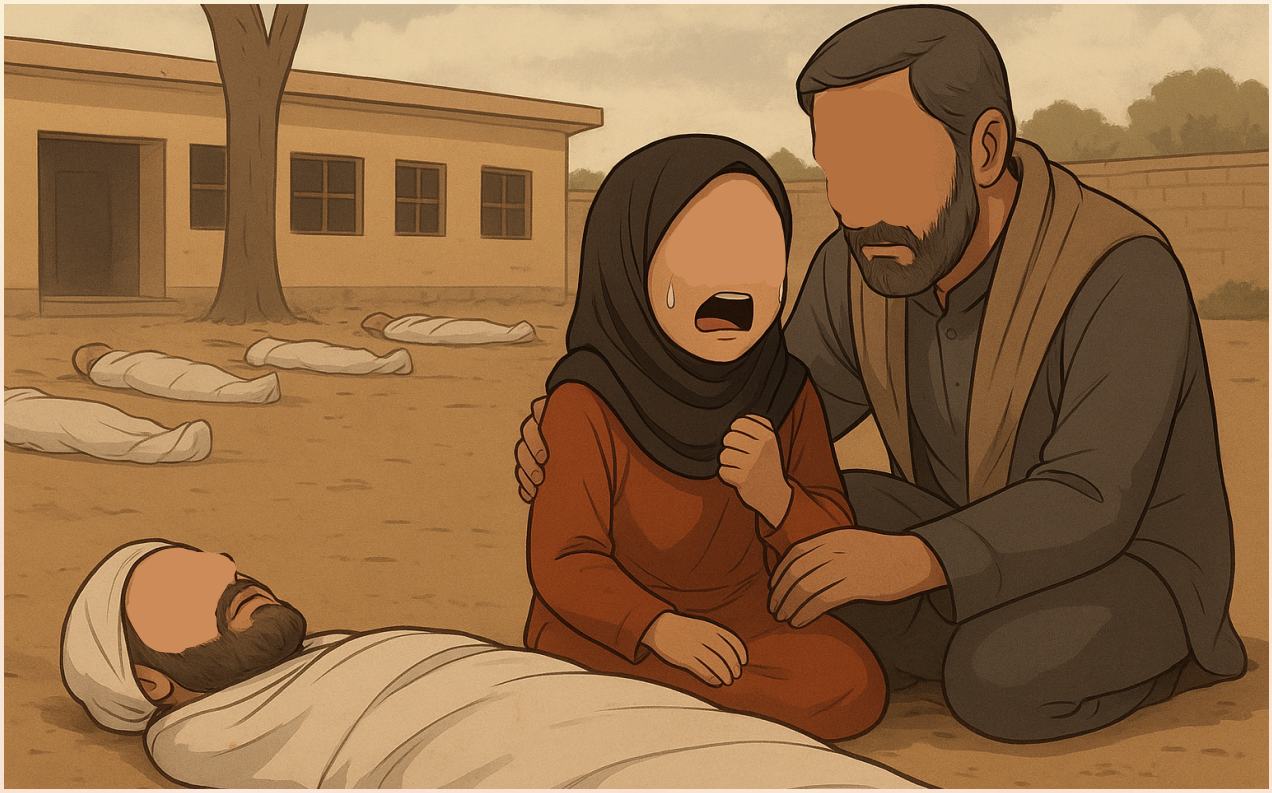

هَدَأَتْ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَدَفَنَتْ رَأْسَهَا فِي صَدْرِ عَمّهَا، تَبْكِي بِحُرْقَةٍ، وَهُمْ يُؤَدّونَ صَلَاةَ الْجَنَازَةِ عَلَى أَبِيهَا وَثُلَّةٍ مِنَ الشُّهَدَاءِ - كَمَا نَحْسَبُهُمْ - فِي سَاحَةٍ اِمْتَلَأَتْ بِالدُّمُوعِ وَالتَّكْبِيرِ.

تَجَمَّدَتْ نَظَرَاتُهَا عَلَى جُثْمَانِ أَبِيهَا...كَيْفَ سَتَصْحُو غَدًا وَلَا تَجِدُهُ بِجَانِبِهَا؟ مَنْ سَيُدَاعِبُ شَعْرَهَا بِيَدِهِ لِيُوقِظَهَا مَنْ سَيُحَضِّرُ لَهُمُ الْفُطُورَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ كُلَّ صَبَاحٍ؟ مَنْ سَيَمْتَحِنُهَا فِي وِرْدِهَا مِنَ الْقُرْآنِ، وَيُتَابِعُ مَعَهَا الْحِفْظَ، وَيَحْكِي لَهَا قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ النَّوْمِ؟ وَمَنْ سَيُعِيدُ إِلَيْهَا حَدِيثَهُ الدَّافِئَ عَنْ حَيْفَا، تِلْكَ الْمَدِينَةِ الَّتِي وَعَدَهَا أَنَّهُم سَيَعُودُونَ إِلَيْهَا يَوْمًا؟

كَانَتْ غَنَى حَبِيبَةَ أَبِيهَا وَمُدَلَّلَتَهُ، يُنَادِيهَا دَائِمًا مُبْتَسِمًا:
ـ "يَا أُمَّ أَبِيكِ!"

وَبَعْدَ أَنْ دَفَنُوهُ، جَلَسَ عَمُّهَا إِلَى جَانِبِهَا، وَقَالَ بِرِفْقٍ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي عَيْنَيْهَا الْمُبَلَّلَتَيْنِ بِالدُّمُوعِ:
ـ "يَا بُنَيَّتِي، هَلْ تَحْفَظِينَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا؟"

قَالَتْ وَهِيَ تَمْسَحُ دُمُوعَهَا بِيَدٍ مُرْتَجِفَةٍ:
ـ"نَعَمْ، أَحْفَظُ خَمْسَةَ أَجْزَاءٍ... كَانَ أَبِي يُحَفِّظُنِي وَيَسْمَعُ لِي وَيَمْتَحِنُنِي فِي كُلِّ جُزْءٍ..."

اِبْتَسَمَ عَمُّهَا بِحُزْنٍ، وَقَالَ وَهُوَ يُمْسِكُ دُمُوعَهُ:

ـ"رَحِمَهُ اللّٰهُ، وَبَارَكَ فِيكِ، وَجَعَلَكِ عَمَلَهُ الصَّالِحَ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ. أَتَدْرِينَ يَا غِنَى؟!، فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ آيَاتٌ تَتَحَدَّثُ عَنِ الشُّهَدَاءِ، وَنَحْنُ نَحْسَبُ أَبَاكِ مِنْهُمْ، وَلَا نُزَكِّي عَلَى اللّٰهِ أَحَدًا. هَلْ تَحْفَظِينَهَا؟"

قَالَتْ:

ـ "مَا هِيَ؟"

فَأَجَابَهَا بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ:

"قَوْلُهُ تَعَالَى:
[وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ].
يَا غَالِيَةَ، أَبَاكِ حَيٌّ عِندَ رَبِّهِ يُرْزَقُ، فَحُزْنُكِ عَلَيْهِ طَبِيعِيٌّ، لَكِنْ لَا تَجْزَعِي وَلَا تَتَسَخَّطِي عَلَى قَدَرِ اللَّهِ."

ثُمَّ أَرْدَفَ بِرِفْقٍ وَهُوَ يُرَبِّتُ عَلَى كَتِفِهَا:
_ "مَا عَلَيْكِ فِعْلُهُ يَا صَغِيرَتِي، أَنْ تَكُونِي عَمَلَهُ الصَّالِحَ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ."

اِبْتَسَمَتْ غِنَى لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مُنْذُ رَحِيلِهِ، وَقَالَتْ بِعَزْمٍ وَدُمُوعُهَا تَلْمَعُ عَلَى خَدَّيْهَا:

ـ "إِذَا لَنْ أَتْرُكَ الدُّعَاءَ لِأَبِي، وَكُلَّمَا هَمَمْتُ بِالْبُكَاءِ سَأَدْعُو لَهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُ، وَسَأَكُونُ صَالِحَةً مُرَابِطَةً فِي أَرْضِهِ، أَمْشِي عَلَى خُطَاهُ...

لِأَكُونَ قُرَّةَ عَيْنِهِ... لَعَلَّ يَوْمَ اللِّقَاءِ يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ."

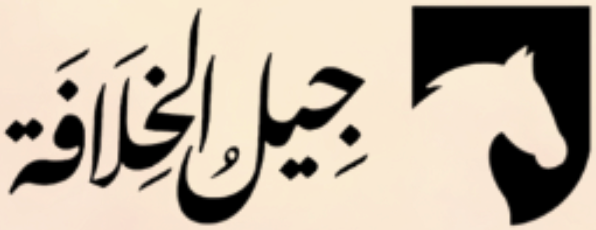

www.ketaeb.com